الشعرية
في القصيدة العربية المعاصرة

د. فليح كريم الركابي

كلية الاداب – جامعة بغداد / قسم اللغة العربية

الشعرية من ابرز سمات النص الابداعي ، وبها يتميز من سواه، وهي تفجر طاقات العمل الادبي ، وتحرك روح الابداع الكامنة خلف الالفاظ مستعينة بالرموز الاشارية لاثراء المضمون، والشعرية تعنى باللغة اولاً، لان ((لغة الشعر تعنى بالظلال النفسية والدلالات الوجدانية كما تعني بتجسيد الأحاسيس،والمشاعر الانسانية لذلك كان اهتمام الفلاسفة ، واهل اللغة بها كبيراً في الماضي، والحاضر على حد سواء)) (١) ومن وظائف الشعرية تحريك الالفاظ نحو مسار جديد يخرق سنن اللغة الاعتيادية الى مضامين جديدة ، ويرى الناقد العربي القديم أن لا شرف للفظ على المعنى ، أو المعنى على اللفظ بعيداً عن السياق والصورة ، والعلاقات الفنية التي تربطه : ((واعلم أن مما هو اصل في أن يدقّ النظر ، ويغمض المسلك في توخي المعاني أن تتحد اجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثان منهما باول ، وان يحتاج في المجلة الى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً.)) (٢)

تعمد الشعرية الى التكثيف والتركيز والاختزال في اللغة من اجل خلق توازن تركيبي ، ودلالي ، وايقاعي ، وصوري ، فالشعرية من تقنيات ، وفنيات التحول الاسلوبي في العمل الادبي، يقول ياكوبسون إن وظيفتها العمل ((على نقل مبدأ التكافؤ من محور الاختيار الى محور التوفيق)) (٣). واللغة وسيلتها ، ووسيلة الاتصال ، والتفاهم بين اعضاء المجتمع ، وبها تنقل المضامين الفكرية والصور الجميلة ، وان علاقة الشاعر باللغة ((علاقة الصانع الحاذق بالمادة الخام)) (٤) وقد حرص عليها العربي قديماً وحديثاً ، ويلاحظ أن الشاعر القديم حافظ على الشكل والمضمون المعروفين ، اما الشاعر الحديث أو المعاصر فقد أحدث خرقاً فيهما حين تحرر من قيود الوزن والقافية وركز على تكثيف المضمون، وإثارة عنصر التخييل عند المتلقي أو الاعتناء به على حساب بعض الجوانب الفنية التي يجب توافرها في القصيدة المقفاة ، وذلك ما دعانا أن نجوز لانفسنا اطلاق مصطلح (شعرية المعنى في القصيدة العربية المعاصرة) بناء

المتنبي ليكون تعللاً له وعوناً على مأساته في مجتمعه، بلغة شعرية جميلة موحية من بحر الرمل (فاعلاتن) موسيقاها راقصة تبعث التخييل في نفس المتلقي ليتأمل حياة المتنبي المغتربة، وانعكاسها على حياة ، بعض الناس ، وان كانوا في اوطانهم ، لقد تجسدت الشعرية من خلال الموضوع التاريخي الذي استثمره الشاعر واثرى به النص(١١) :

غربتي في الناس

اني لا حق بالانبياء

كيف بالله أواري سوأة الاخشيد

اذ تحكمني بالادعياء

إن موت المتنبي كان حياة وبعثاً. فالعظيم يولد يوم يموت. هكذا يرى الشاعر صالح سلمان من سورية حين يقول: (١٢)

مت وانبثق

فالموت نافذ الخلاص

الموت مبتدأ الخلود

.....

مت يانبي الشعر

فالموت اقتدار

كل الذين تحبهم ماتوا

وكفنهم نهار

الموت قدر الانسان ، ولكن شتان بين موتين ، فالموتى الذين يكفنهم النهار ، هم الخالدون الذين تحتفي بهم الامة كل حين، اما الذين يكفنهم الليل فهم في طيات العدم والنسيان. أن موت المتنبي حياة وبعث ، وقد لفه النهار وحفه الخلود، لقد ركز الشاعر على تدفق المعنى من خلال الفاظ سهلة تبدأ بالرجز وتنزاح تدريجياً إلى الكامل بحر القصيدة الرئيس، فالشعرية تحتشد في الالفاظ والمعاني التي استلهمها الشاعر من موت المتنبي ، بايقاع منغم.

ويحذر الشاعر الليبي جيلاني طريبشان من وقوع المذبحة التي احس بها، أو تنبأ

الحائرة التي بدأت تنثال عليها المضامين انثيالاً ، ومن الشعراء من عبر بجملة واحدة عن موضوع واسع، يمكن أن تجوز تسمية هذا العمل بقصيدة الجملة أو السطر أو السطرين، وتدور مشكلة البحث حول قضيتين :

أولاً : لماذا اهتمام المعاصرين بالعمنى ؟

ولماذا الغوض ثانياً :

١. الاهتمام بالمعنى :

لقد اهتم بعض الشعراء المعاصرين بوضوح المعنى وقدموه على اللفظ فمجموعة الفاظ سهلة بسيطة تثير تخيلاً وتساؤلاً كبيرين، أو تورد شكاً في نفوس المتلقين ، وربما يصدم ذلك التساؤل بحواجز فكرية، يقول الشاعر(٩).

من أين جاءت الخطيئة

ونوح لم يحمل بسفينته سوى المؤمنين

تساؤل رائع ، وحيرة مشروعة تستحقان الوقوف عندهما أثارهما الشاعر عبد الكريم البصري بهذا النص الجميل اذ حدثتنا القصة الدينية أن نوحاً (عليه السلام) حمل بسفينته المؤمنين ثم جاء الطوفان ، فاغرق كل عناصر الشر الا راسهم ابليس ، وهذا ما يؤكد لنا أن الشر سينتشر مرة اخرى ويستشري بين الناس، وهو تحصيل حاصل بوجود ابليس الذي اغوى النفوس على مر التاريخ فضلاً عن أن أرادة الله سبحانه وتعالى تريد وجود قطبين متصارعين في الدينا خير وشر ، وهذا ما يفسر لنا حدوث الخطيئة مرة اخرى ، فهو الذي يخرج الخبيث من الطيب والطيب من الخبيث ، ويقول سبحانه وتعالى : (ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعاً.) (١٠).

أن تفشي الخطيئة ، وتحكمها في عصر الشاعر دفعة إلى هذا التساؤل هرباً من واقع مر يعاني الانهيار الاجتماعي والاخلاقي. إن البصري قصد المعنى ، واهتم به كثيرا وعبر عنه بالفاظ نثرية مختزلة خالية من الايقاع لكنها ذات دلالة تبعث التخييل والتساؤل في النفوس الواعية ، فالشعرية تكمن في المعنى العميق.

أما حسين السماهيجي من (البحرين) فيغترب كسلفه المتنبي الذي ظلت تطارده لعنة مدائح كافور إلى اليوم، وعدت هنة في حياته الشخصية لا الفنية، أن غلطة المتنبي قاسية تبعث الاغتراب والالم في النفس الابية. لقد كان السماهيجي، مغترباً في وطنه حين استعان باغتراب

٢. الغموض :

الغموض ضد الوضوح[١٤] هكذا ورد في المعاجم ، وقد عنى به الناقد العربي القديم ، كونه ظاهرة جديدة طرأت على القصيدة العربية ، على يد الشاعر ابو تمام ، حتى بدأ لغموض شعره ميزة فنية ترفعه عن النثر ،((وأفخر الشعر ما غمض ؛ فلم يعطك غرضه الا بعد مماطلة منه))[١٥] وقد تطابقت بعض المذاهب الادبية الحديثة في النقد الادبي مع هذا الرأي مثل المذهب الرمزي والسريالي ، اللذان اكدا توافر عنصري الرمز والايحاء في النص ، وتجريد السياق اللغوي من بعض علاقاته التركيبية : فبدت تعددية المعنى مهيمنة حتى اغرقت النص في اللبس والابهام، وذلك ما نلاحظه عند اغلب الشعراء المعاصرين جريا وراء البحث عن التجديد، واستخدام الغرائبية في التعبير.

إن استثمار اللغة في الشعر يجب أن يختلف عن الاستخدام النثري ، فالبيان باشكاله المختلفة ينبغي توافره في الشعر كي يثير التخييل، ونتمكن من تمييز الخطاب الشعري من الخطاب النثري والا يختلط الاثنان وتضيع الحدود الفاصلة بينهما، لان الشعرية تتوافر فيهما على حد سواء فلا جدوى من كل ما يكتب الان، ويكون الغموض اما عن طريق الاغراق في المجاز أو التعددية الدلالية واللفظية ، أو أختلاط المفاهيم. وتداخل المنشاعر ، والافكار في ذهن المبدع الذي يبعث الضبابية والعتمة في ذهن المتلقي ، ولكن هناك من استخدام الغموض ببراعة ، وخلق منه معادلاً فنياً مع الوضوح ، فاثار التخييل وامتع القارى :[١٦]

في زمان المرايا – الحجر!

في زمان كهذا

جميع الحماقات ممكنة

في زمان كهذا: تقولون غنّ

تعالوا انظروا ما فعلتم بحبي

في زمان كهذا

خذوا حكمتي

واتركوا لي هواي..

أنه الزمن المطلق الذي عاش فيه الشاعر يونس ناصر عبود ، وسمح لقارئه بالدخول

بوقوعها في المنطقة العربية ، والتي وقعت فعلاً وتنفذ فصولها على الشعب الفلسطيني خصوصاً والمثقف العربي عموماً الذي وضع قلمه رهن الاعتقال والامة تستباح أن جيلاني رفض كل الحدود المصطنعة ويرفض جوازات السفر ويؤمن بحتمية الوحدة العربية لكن دون جدوى فشواهد العصر ما زالت شاخصة تؤكد عمق التخاذل وقتل الروح الوطنية في الوطن العربي ، فالمدى كله قبور شهداء ناطقة وشاهدة على المهزلة التاريخية التي تبدأ من كربلاء وتنتهي ببيروت الصابرة التي تحدت العدوان وواجهت صنوف الدمار والقتل والتشرد وستظل شاهدا على جريمة العصر يتضح ذلك من خلال هذا النص الابداعي المكتوب بألفاظ سهلة دلالتها واضحة وصورها مشرقة مستوحاة من واقع الامة الاليم وقد كانت مضامينه لصيقة بالشاعر الذي غناها على بحر المتدارك (فاعلن) ليعمق مأساة المتلقي ويعري مهزلة التخاذل والهزيمة: (١٣)

أن بيروت لم تنهزم

فهي ملء المدى اضرحه

وهي فوق التلال

شاهد العصر والمهزلة

كان الشاعر واضحاً وحماسياً ، حاول تفعيل المعنى المتداول يومياً على لسان الصحافة والعامة إلى معنى شعري له اثارة النفسية الايجابية من اجل تنشيط الوعي ضد عدو الامة.

أن الوضوح من عناصر الشعرية في القصيدة العربية وهو ما مطلوب من شاعرنا المعاصر كي يتمكن من ايصال صوته إلى كل عناصر المجتمع المتباينين ثقافياً.

وخير الشعر ما وضح معناه ورده الناس مع انفسهم او في محافلهم الادبية ، وسفرنا العربي الخالد تغنت به الاجيال على مر العصور وما زالت تحفظه ، وتستشهد به في حياتها يومياً اما الشعر الذي يكتب ولا يعتد به ولا يحفظ فلا يحفل به الناس مستقبلاً ولايجد له اذناً صاغية ولا مكاناً في النفوس والدراسة.

الى واجهة المستحيل

وخطة الاسرى تخرج

من اعراف المرمى

محاصرة بالموت

وجرح البلاد

أن الشاعرة لو كشفت بعض الحجب التي تحيط بقصائدها لاعطت النثرية والشعرية دفقاً اكثر ، ومزقت الضبابية التي تبعث العتمة في نفس المتلقي ، وتمكنت من أن تثير تخييله في آن واحد ، لقد أرادت منيرة التعبير عن واقع القضية الفلسطينية المحاصرة بحراب العدو من خلال الإيحاء والرمز لكنها لن تتمكن من الوصول الى مشاعر عامة الناس كي تطرح قضيتها بوضوح.

ويقلب الشاعر على الامارة المعنى في قصيدته (مفارقات) التي تحمل الثنائية ، أو روح المفارقة بسخرية لاذعة من واقع مترد أمتلأ بالتناقضات التي اصبحت حالة مألوفة(١٨).

ايه يا شط العرب

عندما تجف انت من الشعر

أجف أنا من الماء

أيه ياتمثال السياب

أنك تتحدى مصرف الرافدين

بجيب مثقوب

أيه يا فراهيدي

حين ارادوا أن ينقلوا تمثالك

انتقلت بناية المحافظة

أنه غموض الوضوح والسخرية اللاذعة من ظواهر يومية تتحدى الذوق العام ، عرضها لنا علي بهذا الخطاب النثري ، وباسلوب المفارقة الذي افصح عن الشعرية والدلالة العميقة للنص.

الى عوالم غير ماهولة ، وغير متناهية ، خلقتها ازمته التي جعلته لا يبصر سوى التداعيات والاحباطات النفسية التي عبر عنها بحورايه حزينة، وقد افتقد الامل والحب.

أن الشاعر يترك المتلقي في حالة اختيار للزمن الذي يلائم وضعه النفسي حين صب مأساته على واقعه المر من خلال تعاقبية متقطعة تلائم ظروفاً ضبابية ، هي ثمرة روح متمردة هائمة في عوالم سحرية ، لقد تحرر يونس وحرر المتلقي من قيود الواقع المر على الرغم من التصاقه بالهموم والمعاناة والتصاقها به، عكستها لنا موسيقى المتدارك (فاعلن) بشفافية وألم. أن تشريح هذا النص الرومانسي (قصيدة الزمن) يبعث التخييل والتامل اللذان يعدان من عناصر الشعرية فيه.

أما الشاعرة منيرة مصباح فتبدو صوفية مضطرية لم تصل الى قرارها حين غلّفت أعمالها الشعرية بطبقة معتمة سميكة لا نكاد نبصر من خلالها شيأ . ويبدو أن العزلة النفسية ، وكثرة الترحال والنفي خارج الوطن فلسطين جعلها تبكي من اعماقها بصمت مطبق على وطن جريح ، وشعب يستباح كل يوم ، فلا تكاد تفصح عن مشاعرها التي ينبغي أن تصفح عنها ، لان الخطاب المباشر – كما ترى الشاعرة- غير مجد فاثرت الغموض والابهام فالحقت ضرراً بأعمالها الشعرية : (١٧)

طفلة

يابرعم العقل

صحرها القدر

ترنو صوب ضمائرنا

تتفجر عصفورة في الغياب

قلبها

زمان يطير خلفك

موسيقى من ضجر

غاضبة تاتي من ركن عينيك

ورائحة الدرب رماد

على محطتك تمضي

تعيش في ظروف مناخية ملبدة بسحب الغموض المقصود لا تدركها كثرة التخييل أو التأمل سعياً وراء التجديد الذي لم يحققوا منه الا يسيراً.

وقد أنهكوا انفسهم ركضاً وراء الترجمات الجديدة التي الحقت ضرراً بالشعر العربي ، حتى أن بعضهم فقد هويته العربية الاصلية ، فجاءت كتابتهم غريبة في الصورة والانتماء ، غارقة في التعقيد، ولا تمت الى التراث بصلة ، يقول الشاعر الفرنسي ((سيرج بييه)) : ((لن يتطور الشهر العربي من خلال تماهيه مع الشعر الغربي ، وتمثل تجاربه ، واكتساب ملاحمه ، أن عليه أن يعود الى الثروة الهائلة الموجودة في الشعر الجاهلي برؤيا تفجر المدى بين الكتابة والرواية))[٢٠] لقد بدأ هذا الشاعر الاجنبي اكثر حرصاً من بعض الشعراء العرب على الشعر العربي . والمطلوب من شعرائنا المعاصرين العودة الى تراثهم كي لا يبقوا عائمين وسط اللجة تقذفهم الامواج الى شواطئ غير امنة.

هوامش البحث ومصادره

١. ظواهر فنية في لغة الشعر العربي الحديث ، علاء الدين رمضان السيد – منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٦ ص ٣٤.

٢. دلائل الاعجاز . الجرجاني – دار المعرفة ١٩٨٤ – بيروت ص٦٩

٣. نقلا عن ظواهر فنية ص٥٤.

٤. نفسه ص٤٧.

٥. المحاكات والوزن د. عبد الكريم راضي جعفر – مجلة الطليعة الادبية ع٤ ٢٠٠١ ص١٠٦.

٦. زمن الشعر . علي احمد سعيد ادونيس – بيروت – دار العودة ١٩٧٨ ص١٩٥.

٧. ظواهر فنية ص١٤٣.

٨. المحاكاة والزمن ص١٠٦.

٩. تراتيل الصمت ، عبد الكريم البصري ص١٧.

١٠. يونس ١٠

١١. تقاسيم حسين السماهيجي – مجلة اسفار – ع٢٣ ٢٠٠١ ص٢٠

وتنبسط الأفكار في قصيدة حسين ناصر جبر (غابة التيه) مبتعداً عن الحشد التراكمي للالفاظ من خلال صياغة جميلة لفكرة مألوفة حاول أن يغلفها بطبقة شاحبة ترمز الى الموت ومصير الانسان: (١٩)

رويدك

أن الشحوب اعتراك!

فحدق قليلاً على راحتيك

لعل طوافك بين النجوم مجد

فيا رهق الابتعاد!

كفاك ارتحالاً الى غابة التيه

يا ابن التراب

فعد!

تلك امك تفتح احضانها

وفي رحمها غارقاً تبتغيك

هنا راحة ، الطين يا ابن التراب

انه الموت الراحة الابدية ، وعودة الانسان الى احضان الام (الارض) بعد رحلة معاناة وتعب .. انها حالة التحول والانتقال من عوالم محسوسة الى اخرى غيبية.

بدأ الشاعر من العتمة و الغموض، وأنتهى الى الوضوح والافصاح عن حالة الوعي التي تنتاب الانسان في مواجهة الموت، والحيرة أمام مستقبل مجهول ، لقد كان حسين رومانسياً متشائماً اطال الوقوف في دروب الحيرة والتساؤل ، وهو يعزف انغام الحزن على بحر المتقارب (فعولن).

اختلف غموض الشعراء بحسب طاقة الشاعر الابداعية بين العتمة اللامجدية وبين غموض الوضوح الذي يدركه الناقد المتفحص.

وختاماً لقد رسم الشعراء المعاصرين صوراً متارجحة لعوالم متباينة وقد استثمر بعضهم المعنى المتدفق ليثير التخييل فأفصح عن شاعرية راجحة، وبعضهم جعل القصيدة

١٢. مكاشفات العاشق . صالح سلمان – منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٢ ص٦٩.

١٣. ابتهال الى السيدة (ن). جيلان طريبشان – الدار الجماهيرية ص٢٤.

١٤. ينظر لسان العرب مادة غمض.

١٥. المثل السائر . ابن الاثير – مكتبة نهضة مصر ٨/٤.

١٦. نساء الشاعر يونس ناصر عبود – دار الشؤون الثقافية – بغداد ١٩٨٦ص٩١

١٧. خضاب الندى . منيرة مصباح – دار ازمنة ١٩٩٥ ص١٣.

١٨. أماكن فارغة علي الامارة – دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة البصرة ص٦.

١٩. مدائن من جمان ، حسين ناصر جبر مكتب الضياء النجف الاشرف ٢٠٠١ ص٣٣.

٢٠. نقلاً عن ظواهر فنية ص١٣٩.

(السكان والعمالة) التي تسهم في نمو المدن والمناطق الحضرية ذلك أن رسم خطة لمستقبل المناطق الحضرية يتطلب معرفة العناصر الاقتصادية التي تعتمد عليها هذه المناطق[١] .

وهكذا تم التوصل الى ما يعرف اليوم بمفهوم الأساس الاقتصادي الذي بموجبه تصنف الأنشطة الاقتصادية الى صنفين هما :

- أنشطة اقتصادية أساسية Basic Activites .
- أنشطة اقتصادية غير أساسية Non Basic Activites .

ولقد جاء هذا المفهوم بعد سلسلة من الأبحاث أبتدأها الباحث الجغرافي فردريك عام ١٩٢١[٢] هذا إذا ما تجاوزنا أول الأفكار التي أوردها أبن خلدون في مقدمته الشهيرة[٣] التي أدرك بموجبها وجود فرق واضح بين الفعاليات الأساسية وغير الأساسية من خلال إشارته الى أن الإنسان لا ينتج على قدر حاجته المعاشية أو الأكتفاء الذاتي وإنما ينتج أكثر من ضروراته ليذهب سكان مدينة ما بإنتاجهم الزائد عن حاجاتهم الى سكان مدينة أخرى مقابل قيمة أو عوض يؤدي في النهاية الى رفع مستوى معيشتهم ويزداد إستهلاكهم من الخدمات والبضائع لتكثر بذلك الحرف والأعمال ويزداد دخل المدينة ويتسع عمرانها .

وإذا كان فردريك Fredrick Low Olmsted قد ذكر عام ١٩٢١ وجود نوعين من الحرف الإنتاجية - الأولى - التي تنتج السلع والخدمات لغرض التصدير (فعاليات أولية) ، والثانية - الحرف التي تنتج سلعاً وخدمات لغرض الإستهلاك المحلي (فعاليات ثانوية) ليعطي بذلك أولى المفاهيم الأساسية لمعنى الأساس الاقتصادي طبقاً للتصنيف المعاصر فإن أورسو ذهب أبعد من ذلك في تحديده لمعنى الأنشطة الأساسية عندما عرفها على أنها تلك المهن المتعلقة بوظائف المدينة أي الأساس الذي يستند عليه اقتصاد المدينة وقيامها ، أما المهن الثانوية (الأنشطة غير الأساسية) فهي متعلقة بتقديم الخدمات لسكان المدينة أنفسهم وبذلك قسم التركيب الوظيفي للمدن الى فئتين أساسيتين من الوظائف : أولية - ثانوية[٤] .

الوظائف الأولية : تلك التي يعتبرها الأصل لوجود وقيام المدينة حيث يصف تلك الوظائف على أنها مبررات لنمو المدينة فلا يتوقف وجودها على غيرها ، بل العكس هو الصحيح حيث يتوقف وجود غيرها عليها وتشمل الصناعات الأستخراجية والتحويلية والتكميلية والنشاط الزراعي ونسبة من الخدمات المعدة للتصدير كالسياحة وبعض الاختصاصات والأنشطة التي تنتج السلع والخدمات للناس الذين يعيشون في مناطق أخرى خارج المدينة أو الأقليم المنتج .